خلود فى الوطن

• بقلم: إبراهيم المصرى

فاشرق وجه الشاب وخيل اليه انه سيتغلب عليها ويقنعها . فاحتقرته أيضا لسذاجته وهى تحس برغم احتقارها انها ماتزال تحبه بل تعشقه . ولكنه لم يفهمها . لم يستشعر العواطف الثائرة التى كانت تجيش فى صدرها . فاراد ان يعانقها . فلم تتمنع وعانقته . فزهاه الفرح واعماه ، واراد ان يقبلها ايضا . ولكنها ردته عنها فى رفق فاطاع ، ثم انصرف مسرعا وهى تشيعه بنظرة ثابتة ملؤها الألم والحزن والحسرة .

وكان الكاهن الاعظم قد انطلق فى صحبة صفار الكهنة الى الرحبة المجاورة للهيكل والمعدة لنحر الذبائح . فاجالت هستيا الطرف حولها . فلم تبصر غير والدها جاثيا عند قدمى تمثال الآلهة ، مستغرقا فى تلاوة صلاة الشكر الجامعة .

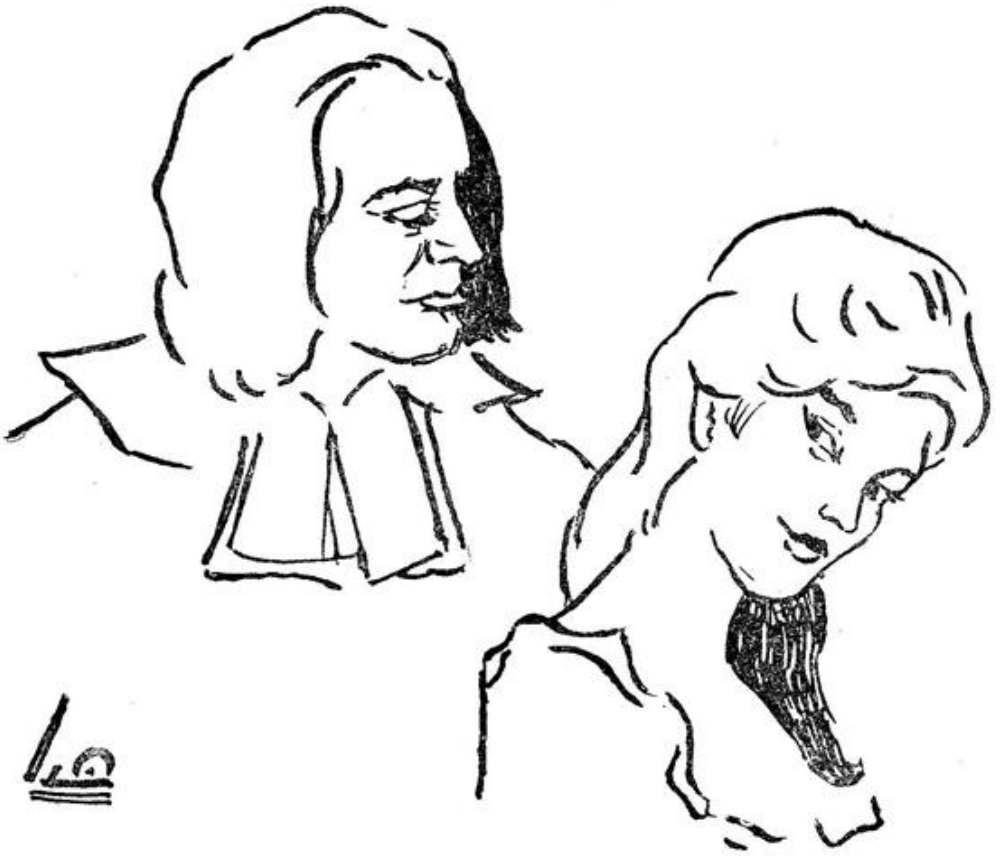

فاستغربت منه كيف يستطيع ان يصلى وفى نفسه ارادة الخيانة والغدر . واهاجها ما كان يبدو عليه من خشوع صادق واطمئنان عجيب . فازداد سخطها لنفاقه وقدرته الخارقة على المداراة والتمويه . وفى مثل لمح الطرف تصورت نشوب الثورة ، وهزيمة الجيش ، ودخول الفرس بلادها غزاة فاتحين . فضمت شفتيها فى بغض وحنق ، وهالها ان يقع كل هذا بفعل رجل هو والدها ، كما هالها ماينتظرها على يده من عار لم تكن لتتصور لحظة ان شبهة منه قد تلحق بها . فلبثت واقفة تنظر الى الرجل وتترتجف ...

وتغلغل سكون المعبد فى اطواء نفسها ، وأسلمها بجمع عواطفها الى الفكرة المستبدة التى ملكتها . فابتهجت بوحدتها ، واحست الأمن يفريها ويدفعها ، ويوسوس لها الا تضيع هذه الفرصة الفريدة التى حباها القدر بها .

وتقدمت بضع خطوات وهى لا تدرى على وجه التحقيق ماذا يجب عليها ان تفعل . واذ ذاك وقع بصرها على تمثال الآلهة ، فتفرست فيه ، ولبثت فترة شاخصة اليه ، تبتهل وتتضرع وتلتمس ان يهبط الوحى عليها .

وغابت عن صوابها لحظات ، وشعرت كأنها تتحلل من كل اثر جثمانى وكأن روحها تندمج فى روح الآلهة وتفنى فيها . فعاودت التضرع والابتهال ثم دبت فيها الحياة فجأة . فتألقت عيناها ، وتحرك بدنها على دهش منها ، ومشت كما يمشى النائم ، متجهة صوب حجرة النذور ، تدفعها وتحرسها قوة مجهولة لا قبل لها بمقاومتها .

وجعلت تنقل بصرها فى انحاء الحجرة ، ونداء الآلهة يتبعها ، وصداه يرن فى اذنها ويفعم قلبها ايمانا وحرارة وعزما .

وكانت الحجرة مليئة بقلائد ذهبية وأساور وأقراط واهلة من فضة وذهب ، وسيوف وخناجر مرصعة المقابض بالاحجار الكريمة ، وكلها نذور جمعت فى هذا المكان وقدمها الشعب اعترافا بفضل الآلهة وتمجيدا لمعجزاتها . فرفعت هستيا ذراعها واختطفت احد الخناجر ، ثم مرقت من الحجرة وتوقفت لحظة واصغت . فدوت حولها صرخات الذبائح منبعثة من الرحبة المجاورة . فأيقنت ان الكاهن الاعظم مايزال هناك . فاطمأنت ، ومشت مرفوعة بنفس القوة ونفس العزم ونفس الايمان ...

ولمادنت من الهيكل ، خلعت نعليها ، وسارت على اطراف قدميها ، وهى ما تفتأ تحدق الى حركات والدها وترقبها . وعندما الفته امامها جاثيا يصلى ، محنى الرأس ، محدودب الظهر ، بارز العنق ، اغراها سكونه وعجزه ، فحبست انفاسها جهدها ، وأهابت بعزمها الحاقد ، ورفعت ذراعها والخنجر مشهر فى يدها ... وفى تلك اللحظة ... وقبل ان تتئد هستيا وتفكر وتتخير المقتل الذى يجب ان تسدد اليه طعنتها ، كان الكاهن الاعظم قد لمحها وهو فى رحبة الذبائح . فقفز اليها صارخا . فجفلت الفتاة وطعنت . ولكنها لم تستطع ان تصيب والدها الا فى كتفه . فأطبق عليها الكاهن الاعظم ، وانتزع الخنجر من يدها . ثم اسرع واوصد باب الرحبة ، وكر راجعا الى الفتاة وهو يصرخ ثائرا مستهولا :

ـ انت ؟ ... انت ياهستيا ، تريدين قتل والدك ؟ ...

فصاحت الفتاة :

ـ نقد خان عهده لوطنه . وانت ، انت أيضا خنت ، ، وكذلك رئيس الشرطة وصفوة الوجوه والاعيان فى هذا البلد . كلكم وصوليون ، كلكم نفعيون وطلاب مصالح . الدم الحر فى الصفوة المختارة من رجال اليونان قد نضب . والعصارة الطاهرة فى قلوبهم قد جفت . فكيف نصبر نحن الشعب عليكم ، وكيف لا نحاول التخلص منكم قبل أن توردوا الوطن مورد الهلاك ؟ ...

أنظر ... أنظر الى هذا المنشور الذى دسه فى يدى أحد المصلين ...

أليس هو من صنع أيديكم ؟ ... أليست هذه أختامكم ؟ ... ألستم انتم الذين تحرضون الشعب على الجيش وزعيمه وتطلبون عقد الصلح مع العدو ولو استحال أبناء اليونان الى رهط ممزق من السائمة والعبيد ! ... اقرأ ... واحجب وجهك عنى ، فقد كنت أيضا خليقا بطعنة ابلغ واعمق من تلك التى اردت انا اسددها الى عنق والدى ! ...

واستردت أنفاسها وهمت بأن تتحول نحو أبيها الذى كان يبتسم ابتسامته الغامضة والدم ينزف منه . ولكن الكاهن الاعظم اسرع وغمس منديله فى حوض الماء المقدس المجاور لتمثال الآلهة ، ثم ضمد جرح الكاهن الاول ، ثم ارتمى على هستيا ، وامسك بها ، وطفق يهزها هزا عنيفا ، ويقول :

ـ أيتها الفتـاة الطائشة ، أيتها الفتاة الغريرة ، كان عليك أن تستفسرى قبل ان تتهورى . كان عليك ان ان تتثبتى قبل ان تضربى . ان والدك ياهستيا أشرف وأطهر انســـان . أما أنا حارس معبد الآلهة بالاس ، والـكاهن الأعظم فى هيكلها المقدس ، فقتطيع بدنى أربا ، أو حرقى بالنار ، أو موتى على خشب التعذيب ، احب الى من خيانة وطنى ولو وعدت بملك الدنيا ! ... نحن الذين أردنا ذلك ... نحن الذين دبرنا المكيدة ... والدك وانا ورئيس الشرطة حالفنا المتآمرين عن عمد ، وشاركناهم فى توقيع منشـــور الخيـــانة ، واردنا ان نكون عيونا للوطن عليهم ، وجواسيس للزعيم عندهم ، كى نكشف عن خططهم ونحبطها وننقذ الجيش والزعيم فى معركة الاستقلال الفاصلة ! ... واذا كنت فى شك من ذلك فانظرى ... تعالى وانظرى ... اقتربى هذا هو البرهان ... هذا ما أمر به والدك اليوم بعد ان اجتمع فى بيته بالمتآمرين ، وهذا مانفذه على الفور رئيس الشرطة ... أنظـــرى واسمعى ...

واتجه الكاهن الاعظم الى أحد الابواب الجانبية وفتحها . فابصرت هستيا شبه غمامة كثيفة ، ثم رأت الغمامة تقترب ثم ابصرت ضبابها يتمزق ويسفر عن جماهير غفيرة تدفقت نحو ساحة الهيكل الخارجية ، وطفقت تلوح بأذرعها ، وتهدد بقبضاتها ، وتهتف :

ـ الموت لاكتيون !... نريد رأس اكتيون ! ... الموت للخونة ! ...

واوصد الكاهن الاعظم الباب ، وتحول الى الفتاة وقال :

ـ لقد اخذناهم فى الفخ نفسه الذى نصبوه لنا . القينا القبض عليهم جميعا ، ماخلا اثنين ... اثنين فقط ..اثنين من اخبثهم واخطرهم . امهلنا الاول فترة كى نطمئنه ونستدرجه ، ونعرف منه المكان الذى لجأ اليه الثانى فنباغته وهو فى جحره ، ثم نقتص من الرجلين معا ...

فجحظت عينا هستيا دهشـــة مما رأت ونشـــوة بما سمعت وذعرا لما أقـــدمت عليه . فارتمت عند قدمى والدها وصاحت :

ـ غفرانك ياابت الطاهر العظيم ... اقتلنى ... انى لاستحق الموت من يدك جزاء وفاقا على تهورى وطيشى .

فهتف الوالد المطعون :

ـ بل تستحقين الحياة ... العاطفة الوطنية هى التى دفعتك . والعاطفة تصبح الزم للوطن من العقل ، عندما يكون الوطن بين الموت والحياة ... لقد كنت مؤمنة بخيانتى ، وكانت القرينة واضحة ضدى ، فكان لزاما عليك ان تنكرى البنوة وتفكرى فى الواجب . انى لفخور بك ياهستيا . ولكنى اتمنى ان تعودى فتفمدى خنجرك حقا فى عنقى لو رأيتك ناكصة على اعقابك ، ومتهاونة ولو لحظة فى تأدية واجب وطنى آخر اقسى وافجع من قتلى ! ...

فتفرست فيه الفتاة وقالت :

ـ لا افهمك ... مرنى بما تريد . حياتى فداء للوطن ولك .

فلم يتكلم الوالد . بل انحنى الكاهن الاعظم على الفتاة وصاح :

ـ جاءنى رسـول من قبل قائدنا وزعيمنـا ملتيادس وانبانى أن خطيبك ... حبيبك ... كرونوس ... رئيس فرقة الفرسـان فى الجيش المقاتل ، فر من الجيش ... اتفهمين ؟ ... فر من الجيش حاملا بعض مستندات وخرائط سرية خطيرة متعلقة بالخطة التى رسمها قائدنا لمعركة الاستقلال الحاسمة .. فر من ساحة الحرب ، ثم هبط هذه المدينة ، ثم اتصل ولا ريب بشقيقه الخائن بلوتون حارس صوامع الفلال والذى كان منذ أيام عضوا عاملا فى عصبة المتآمرين ثم تخلى عنهم ليضللنا ... نعم ، اتصل كرونوس بشقيقه . أسرع لانقاذه قبل ان نقبض نحن عليه . واتفق كلاهما ولا شك على أن يغافلا حرس الحدود ، أو يرشـواهم بالمال ، ثم ينسلا من المدينة تحت جنح الظلام ، وينطلقا الى معسكر الفرس فيسلما العدو اسرار جيشنا ! ... هذا هو خطيبك ياهسـتيا ، وغد جبـان ، مهتوك الشرف العسكرى وخائن ، بل هو شر علينا من افتك الخونة والمتآمرين . ولقد اعيا رجالنا البحث عن شقيقه الذى اختفى . فأمرت انا الشرطة بتعقبه هو وتفتيش بيته دون ان يقبضوا الآن عليه . ولكنهم بعد ان استجوبوه وفتشوا منزله ، لم يوفقوا لا الى العثور على المسـتندات الخطيرة التى سرقها ولا الى معرفة المكمن الذى يختفى فيه شقيقه ... واليوم .. بل منذ لحظات أبصروه وهو وكرونوس . يدخل بيتك ... بيتك انت يا هستيا ... فأسرع احدهم منذ دقائق وانهى الى النبأ . فأمرتهم بأن يحاصروا بيتك عن بعد . وكنت على وشك أن أصارح بالأمر والدك كى يسرع فيلحق بك قبل أن تبلغى البيت ، تنفيذا لخطة وضعتها انالتوى والقيت عبء تنفيذها على عاتقك ... فكرونوس ينتظرك الآن فى دارك . ومن المحال أن تكون المستندات السرية معه. انها ولا ريب فى حوزة اخيه. أما هو فأكبر الظن انه لم يذهب اليك الا ليقنعك بالفرار معه . فالواجب الذى أطالبك به اليوم ياهستيا ، واجبك العظيم ، واجبك المقدس حقا ، واجبك المرهون بتأديته انتصار جيشنا ، هو أن تتفوقى على نفسك ، وتقهرى حبك وقلبك ، وترحبى بمقدم الشاب وتجردية من سلاحه ان استطعت، ثم تستدرجيه بالمكر والحيلة ووهم العاطفة والاغراء ، كى تعـرفى أين يختبىء شـقيقه الخائن بلوتون اذ نحن لو قبضنا على كرونوس ، وحتى لو عذبناه ، فهو لن يعترف . لن يضحى أبدا بأخيه الذى يعتبره بمثابة والد له. ولو تركناه طليقا ثم راقبناه أيضا ، فلابد أن يشعر بعد أن فشلت ثورة المتآمرين انه هو وشقيقه فى خطر، فيخدعنا عامدا ويضللنا ويسلك بنا سبلا ملتوية وزائفة كى يتيح لنفسه أو لأخيه فرصـة الفـرار من المدينة وحمل اسرارنا الى معسكر الفرس . واذن فنحن نريد ان نعرف المخبأ الذى يكمن فيه بلوتون ، نريد ان نعرفه من كرونوس نفسه وبمحض اختياره ، وان كنا مع ذلك قد امرنا رجالنا زيادة فى الحيطة والحذر بأن ينتشروا عند الحدود ويراقبوا كل مسـافر متسلل ... فالساعة فاصلة ياهستيا ، ومصـير جيشنا فى يدك ، وانت وحدك التى فى مقدورك ان تنتزعى السر من صدر كرونوس ، على ان توطنى نفسك يابنيتى على التضحية بخطيبك وحبيبك لانه هو أيضـا يجب ان يعاقب ، وهو أيضا يجب ان يلقى مصير الخونة والمتآمرين !

فوجمت هستيا فترة ثم ذكرت ماقاله لها كرونوس واقشعر بدنها .

ادركت انه كان يخاتل وينافق ويحتال عليها . أدركت انه لم يحجم عن قتل والدها حبا فيها بل اعتقادا منه أن والدها كان مثله مارقا وخائنا . أدركت انه لم يفكر فى ترك جيشه وبلاده من أجلها هى وحدها بل من أجل مصلحته أيضا . من اجل مطامعه ، من اجل منصب كبير كان يثق ولا ريب انه سيظفر به من حكومة الخونة بعد أن يكون الجيش قد انهزم على يده ويد شقيقه ... واذن فهو قد أراد ان يظفر بكل شىء على انقاض وطنه : المرأة والمنصب ، الجسد والمال ، شهوة البدن وشهوة الدنيا ! ... نعم . هذا ما اراده كرونوس هذا ما اراد ان تعاونه عليه هستيا . بل هذا ما كان يستره خلف قناع الحب كى تنخدع به الفتاة الساذجة وتنساق اليه ! ..

وارتعدت فرائصها ، وغشيتها موجة طاغية من الحنق والكره والحقد . كانت عندما صرفت حبيبها من المعبد لم تزل تحبه ، ولم تزل مبقية عليه برغم ثورتها على ضعفه واحتقارها له . كانت تريد ان تخلو به فى بيتها كى توقظ ضميره ، وتستنهض كرامته ، وتلهب وطنيته ، وترده الى ساحة القتال مرفوعة الرأس به وهو ماض فى تأدية واجبه . اما الآن وقد وضحت الخيانة المروعة ، ووضح الخبث المحكم ، والغرض المتأصل المكين فقد تحجر قلب هستيا ، وغاضت عواطفها ، ولم تعد باقية فى عقلها الذى التهم كيانها غير فكرة ثابتة واحدة هى الثأر لبلادها ولو على أشلاء حبها التاعس وأملها المخيب المنكود .

ورأت من العبث ان تصارح بانها قد التقت بكرونوس فى المعبد منذ قليل . فاكتفت بأن نهضت واتجهت من فورها صوب تمثال الالهة ، وجثت عند قاعدته ، ورفعت ذراعها وقالت :

ـ اقسم بالالهة بالاس فى يوم عيدها ان البى نداء كاهنها الاعظم ، وانهض بالواجب المقدس المفروض على نحو وطنى !

فعانقها الكاهن الاعظم وباركها ، واحتضنها والدها وقبلها . فتأبطت ذراعه وخرجت به من المعبد ، ملتمعة العينين ، متقدة الوجنتين ، راسخة الخطى ، يرتسم على جبينها المقطب الصارم عزم امرأة فذة عجيبة ، تجردت من انوثتها ، واستحالت الى قوة مرهوبة للعدل والثأر والعقاب

وكانت الجماهير ماتزال تهتف فى الميدان المحيط بالمعبد وتطلب الموت للخونة المتآمرين . وكان الفيلسوف شالكاس واقفا مع صديقه اوريون على مقعد كبير من حجر فى طرف من أطراف الميدان ، وحولهما رهط من الفنانين والأدباء وخادمات الهيكل ، يتبارون جميعا فى اثارة روح الكفاح والصبر فى نفوس الجماهير ، بالقاء الخطب الحماسية ، أو القصائد الوطنية ، أو الاناشيد التى تمجد القائد الزعيم ماتيادس ، أو الازجال التى تحقر وتهزىء الشاعر الخائن اكتيون ، وهى تستنزل لعنة الآلهة عليه وعلى صحبه المارقين . وكان اوريون الدميم يخطب هو أيضا .

وكانت حماسته الصادقة تخلع على وجهه المشوه حلة رائعة من جمال . ولكنه كان حزينا ، لايكاد يصمت حتى يفكر فى حظه ويفكر فى حبيبته ، فيتمنى لو انه لم يكن ضعيفا وعليلا كى يسرع الى ميدان القتال ويموت فيظفر بالنعمتين العظيمتين . تقدير الوطن واعجاب هستيا .

وبرزت الفتاة على درج المعبد . فقفز قلب أوريون بين ضلوعه ، وخف اليها . فلوحت له ولأستاذها بأطراف أناملها . فأسرع شالكاس وحيا رفاقه واتجه نحوها . فناولته ذراعها اليسرى فتأبطها . ومشى الثلاثة وأويون يتبع هستيا كظلها ، ويتنسم فى بهجة عبير وجودها ، محاذرا أن تقع عينيها عليه فينقبض قلبها فتلوى بوجهها عنه ...

ولم تتردد الفتاة وشرعت تقص على استاذها كل شيء . كل ما اقدمت هى عليه ، وكل ماقاله الكاهن الأعظم عهد اليها به ، دون أن تذكر لقاءها بكرونوس فى المعبد خشية أن يلومها الفيلسوف على ترفقها بحبيبها وأملها فى ايقاظ ضميره والهاب وطنته بعد أن رأته يتبدل ويوشك أن ينحرف عن السبيل السوى .

وكان اوريون يسمع وهو يرتعش . اثلجت صدره خيانة غريمه وانحطاطه فى نظر الفتاة . ولكنه كبح ثورته على كرونوس ولم يتكلم حرصا على كرامة هستيا . اما الفيلسوف فظل مصغيا للحديث فى هدوء المفكر المتأمل ، ثم تطلع الى الفتاة ، وابرقت عيناه وقال :

ـ هذه ساعة مجدك ياابنتى . لن تكونى جديرة بالانتساب الى امتك ياهستيا، اذا انت احجمت ولو لحظة عن تأدية واجبك . فاحذرى وتنبهى . انك مهما قلت انك تبغضين الآن كرونوس ، فقلبك كان يحبه وروحك كانت اخت روحه ، ومستقبلك كله كان معقودا عليه . فاحذرى الضعف ساعة الحساب ياهستيا . ان الانسان قد يكره دون أن يعلم انه على قدر كرهه يحب . فالكره يخفى الحب فى معظم الاحيان يابنيتى . ومتى اراد الكره ان يعاقب ويضرب فقد يثور الحب فى النفس فجأة ، وتحل الشفقة العميقة محل الكراهية الغامرة . فاياك ان يغدر بك الحب فتشفقى على كرونوس . اية قيمة لحبنا اذا هو لم يرتفع بنا الى عالم افضل واسمى وأبقى منا . فأنت ان غلبت واجبك على حبك ، وعاقبت المذنب دون رحمة ، جاوز حبك نفسه محيط ذاتك الفانية . وسما بك الى حب أروع وأعلى هو حبك لوطنك الباقى وبلادك الخالدة . فانقلى الحب من الانانية الى التضحية ، من أرض الناس الى سماء الآلهة ، من فناء ترابك الجسدى الى خلود وطنك الغالى فى اصلابه المتعاقبة . ومتى ضحيت بحبك ، وخنقت عامدة قلبك ، وآثرت خلود وطنك على دوام متعتك وسعادتك ، خلدت انت نفسك فى نظر ذاتك ، وفى ذكرى أهلك وعشيرتك ، وفى عزة وطنك الذى لن ينسى انه كان على وشك ان يموت فقدر له ان يجد الخلاص على يدك ! ... فتقدمى ولا تجزعى . اضربى ولا تشفقى . هذه كلمتى اليك ياهستيا ، فاذكريها ، وضعيها نصب عينك وانت تحاسبين الخائن المجرم الشقى ! .

وصمت الفيلسوف وهو يلهث . فضمت هستيا ذراعه الى قلبها وصاحت :

ـ لم اعد الآن أنثى . لقد مات حبى وبقى حقدى ، والحقد اقوى من اية عاطفة رخيصة يمكن ان تغلبنى . فادخلوا انتم هنا . في الجناح الايمن من بيتنا . والبثوا هناك حتى أدعوكم . ولسوف أبدل أنا جوهر طبيعتى حتى انكرها ، وامعن فى خلق ذاتى خلقا جديدا عجيبا ، حتى أنفذ الى أعماق نفس كرونوس ، وأنتزع سره ، وانقذ وطنى .

ودخل الثلاثة مسرعين . أما هستيا فقد توقفت لحظة ، وتنفست طويلا ، ثم استجمعت قواها ودخلت الجناح الايسر ، حيث كان ينظرها كرونوس .

ولكنها ما أن نحت ستار الحجرة قليلا ولمحت الشاب جالسا على مقعد ومعتمدا رأسه بيده ، حتى تملكها ذلك الانفعال العنيف الذى توقعه استاذها . تخاذلت وتراجعت واشفقت . وثب حبها فى صدرها وارجف قلبها رجفانا كاد يخنقها . لم تستطع أن تتصور ان ستكون هى السبب فى المصير الفاجع الذى

ينتظر حبيبها . نعم . لقد ثارت عليه فى المعبد واحتقرته لضعفه . ولكنها اعتبرته خائنا بالفكر فقط وكان فى عزمها ان تؤنبه وتراجعه وتهديه . اما الآن فهو خائن بالفكر والفعل ، بالنية والعمل . ويجب أن تحاسبه . يجب ان تعاقبه . يجب أن تقتله بيدها هى ، بيدها التى لم تكن تتمنى اكثر من ان تضمه وترعاه وتخدمه الحياة بطولها .

وغشى الدم عينيها ، واشتد خفقان قلبها ، واوشكت الشفقة الفادرة ان تستبد بها وتقهرها . فتلفتت حولها شبه مخبولة ، وذكرت كلمات أستاذها ، وتصلبت ... تصلبت جاهدة وامسكت بقلبها ، تهصره بيدها هصرا كأنها تريد ان تنتزع من شغافه كل حبها وكل حنانها . ولما الفت نفسها ماتزال محجمة ، وماتزال مستخذية وخائرة ، ذكرت شيئا آخر ايقظها والهبها . ذكرت انها كانت ستقتل والدها نفسه فى سبيل بلادها . فكبر عليها أن تضحى بالوالد وتشفق على الحبيب ، أن تقسو على الأصيل وترغم الغريب . فضمت قبضتيها ، وعضت بأسنانها على طرف ثوبها الابيض الذى باركه ملمس الآلهة المقدسة منذ لحظات ، ثم استغفرت الآلهة واستنجدت بها ، ثم رفعت رأسها فى شموخ ، وجذبت ستار الحجرة فى عنف ، ودخلت على كرونوس امراة مستبسلة جديدة ،دهشت هى نفسها من حلولها الطارىء فيها ، ومن قوتها التى لم تكن تحلم ابدا بها .

وما ان ابصرها الشاب حتى فتح ذراعيه واقبل عليها . فارتمت فى حضنه ، وعانقته فى حرارة ، وقبلته فى نشوة ، ثم صاحت به وهى تضمه الى صدرها ضما عنيفا ، وتحاول بكل ما أوتيت من دهاء الأنثى وفتنتها ان ان تصب فى عروقه سحرا يختم على بصره ، ويخضع ارادته ، ويقهر وساوسه ويخنقها :

ـ الم يبلغك النبأ ؟ ...

فتطلع اليها ثابتا وقال :

ـ ومنذ الذى يجهله ... أنهم ألقوا القبض على الشاعر أكتيون وأنصاره . ولقد سمعت الجماهير من هنا تطالب بموته . واكبر ظنى انهم لابد ان يقبضوا أيضا على والدك ياهستيا وعلى الكاهن الاعظم ورئيس الشرطة وجميع من وقعوا المنشور ...

فصرخت الفتاة :

ـ لم يبق لى غيرك ... الجميع فى السجن يرسفون فى الاغلال ! .. والدى واصحابه ... ولكنهم ليسوا وحدهم الخونة . أنت جاهل ياكرونوس بما هو ادهى واعظم ... الحاكم نفسه خائن ... حاكم المدينة هو أكبر عملاء الفرس ... اتدرى ماذا فعل ؟ ... لقد اصدر امره أيضا باعتقال ابن عمى واربعة من رفاقه ... ابن عمى العالم الفلكى الشهير الذى كان يعيش فى صومعته منقطعا لعلمه وبعيدا عن الدنيا ...

فارتجف كرونوس وقال :

ـ حتى هو ؟! ...

فصاحت هستيا مستنكرة :

ـ أذلك الرجل العبقرى المشهود له بالنزاهة والاستقامة وصدق الوطنية ، يمكن ان يكون خائنا ؟! ... لا ... لقد قبض عليه الحاكم واعتقل أيضا رفاقه لانهم كانوا مخلصين واوفياء لقائد الجيش زعينما ... ان فى الامر لتدبيرا شـائنا ياكرونوس ... ان فى الامر لطمعا مروعا فى الاسلاب والغنائم بعد الهزيمة ... ولقد بات حاكمنـا يعتقد أن هزيمة جيشـنا محتومة فأراد أن يقضى على المتآمرين والمخلصين معا كى يصبح هو وحده صاحب الكلمة النافذة فينا . فيستطيع ان

يحالف العدو المنتصر ، وان يفوز هو واعوانه بحكم البلاد تحت حمـاية الغاصب المحتل ... نعم . الحاكم واعوانه هم طليعة الخونة ، وهم طليعة الوصـوليين ، وهم الذين يستخدمون سلطانهم للقضاء على كل من ينافسهم ويعارضهم ، بغية القضاء على جيشنا وعقد الصلح مع العدو ... فاذا كان ذلك العالم النبيل خائنا ورفاقه الاشراف ايضا خونه ، والحاكم واتباعه هم وحدهم الابرار ، فقل العفاء على جيشنا ، وقل السلام فى هذا البلد على كل جهد يبذل من أجـل الحـرية والخلاص .

والتقطت انفاسها واستطردت وعيناها تتوهجان كأنما قد تلبسـتها قـوة علوية تلهمها دورها الهاما :

ـ أنا لا أتألم ولا أتمـرد لأن والدى الآن طريح السـجن . يجب أن يلقى جزاءه . ولكنى أقول كيف يقبض على والدى ثمن يكون الذين قبضوا عليه هم خونة مثله ، أبلغ منه خيانة وأوقع غدرا ؟! ... هذا ما يثيرنى عليهم . وأن ثورتى لتملأ كيـانى ، وتغلى كالمرجل المسـتعر فى دمى .. ولكن ما حيلتى ؟ ماذا فى طاقتى أنا المسكينة ان أفعل ؟ أنا ثائرة ويائسة وكذلك استاذى واوريون . كلنا ساخط ، وكلنا ناقم ، وكلنا عاجز . فكيف يطلب منا ونحن افراد ان نكون اكثر وطنية من حكامنا ؟ ... كيف يطلب منا ان نبذل ونضحى بينما القدوة التى تهبط الينا من أعلى تعلمنا الانانية ، وتغرينا بالمصلحة ، وتدفعنا الى الاستسلام ؟ ... لا ... أنا لن أضحى بشخصى الا اذا رأيت مثل التضحية حيا نابضا فيمن هم اعظم منى. ومادامو هم قد خانوا ، فانا اتحلل من كل رابطة وكل قيد ، ولا أفكر الا فى نفسى ومصلحتى ...

فهتف كرونوس وهو ذاهل :

ـ الم أقل لك ؟ ... بأى حق نموت نحن ويعيشون هم على انقاضنا فى بحبوحة ورخاء ؟ ... ان حبى هو الحقيقة الواحدة التى اعرفها ، وهو المبدأ الفرد الذى أصـبحت أعيش من أجله وأومن به ! ... لن أكون مطية للوصـوليين ! ... لن اخدع بهم ! ... لن ادعهم يتخذوننى اداة لاطماعهم ثم يلقون بى جثة هامدة يرقصون على أشـلائها مقهقهين . ان قوتى فى أن التهمهم قبـل ان يلتهمونى ، وأن

أعيش واحب واسعد قبل ان يقضوا القضاء المبرم على ... يجب ان ارحل . فاذا كنت حقا تحبيننى يا هستيا فاتبعينى ...

فلمعت عينا الفتـــاة ، وارتمت عليه ، ثم انســـكبت فى لهفة بين أحضانه ، وانكمشت وتكورت كالهرة المستأنسة المولعة بالملاطفة والدعاب ، وقالت فجأة وهى تتأرجح على ركبتيه وتقبله :

ـ والى أين ستأخذنى ؟ ...

فقال وقد اشرق محياه :

ـ الى أية جزيرة نائية فى البحر المتوســط ، الى أية بقعة من الأرض يمكن أن تكون وطن الحب والحرية والنعيم الدائم الابدى .

فقالت هستيا وهى تحملق فيه وتبتسم فى دهشة كالاطفال :

ـ ومن اين لك المال ؟ ... ما أظنـك قد جمعت ثروة وانت فى ســاحة الحرب ؟ ...

فرماها بنظرة فاحصة ، واضطرب بالرغم منه ، ومرت على وجهه المحتقن سحابة من ريبة ... ولكن الفتاة عاجلته بضحكة ساذجة ناضرة ، وتعلقت بعنقه وصاحت :

ـ اية قيمة للمال مادام هناك حب . الحب نفسه ثروة تكســو وجه الفقر طبقة من ذهب . وسواء اضمن بك الحب فى قصر أم فى كوخ ، فأنت الذى أنشــد ، أنت أملى وحلمى ، ومن قلبك وحده تنبع سعادتى لا من الجدران والأحجار !

فطرب الشاب ولم تعد تسعه الدنيا ، وردد :

ـ اذن فاتبعينى !

فقالت فى صوت جهير يتقد حبا ومغامرة وعزما :

ـ سارحل معك !

فجثا عند قدميها ، وطوقهما بذراعيه ، وطفق يقبلهما كمعتوه . اختلج بدنه ثقة وعزة ونصرا ، وتحدرت على وجنته دمعة فرح ، وتمثلت فيه صورة انسان كان يطلب المستحيل فدان له المستحيل واذهله وروعه وسحقه .

ونظرت اليه الفتاة وهالها مرآه . هالها ان يحبها على هذه الصورة . هالها يبكى من فرط عشقه لها فتفدر هى به عامدة وتطعنه . فعاودها الحنان ، وعاودتها الشفقة . فمزقت قلبها ، بل قطعت احشاءها ، وكادت ان تعصف بها وتعميها عن رؤية واجبها . ولكنها تراجعت وتماسكت . تصلبت جهدها كما فعلت منذ لحظة . ثم تصورت والدها يلعنها ، واستاذها يلفظها ، واوريون يزدريها ، والكاهن الاعظم يصب جام سخطه عليها ويحرمها من دخول المعبد ويعلن فى الملأ انها مارقة وخائنة . فجن جنونها ، وعز عليها مصيرها ومصير وطنها . ففرست اظافرها فى راحتيها ، وقالت صارخة :

ـ وأين نلتقى ؟ ... ومتى ؟ ...

فهمس كرونوس وهو يزفر :

ـ الليلة ... يجب ان نرحل الليلة ... وسأكون فى انتظارك بعد منتصف الليل ، عند سفح الهضبة الكبيرة القائمة خلف مساكن الشعب البعيدة عن قلب المدينة ومشارف المعبد ... لقد أعددت عدتى ...

فانتفضت الفتاة واحست ان الساعة المرتقبة المرهوبة قد دنت . فأهابت بكل ما فيها من شجاعة وصلابة ، واسرعت وقالت قبل ان تشفق مرة اخرى وتنهزم :

ـ وشقيقك ؟ ... بلوتون ... ذلك الرجل الطيب الكريم الذى رباك بعد وفاة والدك ، وعلمك وثقفك ، ولم يشأ أن يتزوج خشية ان تستبد امرأته بك... انتركه هنا ؟ ... أندعه فريسة للحاكم ؟ ... سيعتقد الحاكم الخائن أنك فررت لتلحق بالجيش ، وانك ستعلن عن خيانته ، وتفضح خططه عند القائد الزعيم . فيقتل شقيقك انتقاما منك ! ... افيهون عليك ان تسلم انت ويموت الرجل الذى هو بضعة من لحمك ودمك ؟ ... لا ... انا لا اقبل . لا اقبل هذا ابدا !

فصاح كرونوس وقد راعه اخلاص الفتاة وضاعف حبه تأججا واشتعالا :

ـ بلوتون سيرحل معنا ! فلم تمهله وقالت وبدنها يكاد ينخلع :

ـ ولكن أين هو الآن ؟ ... الم تقل انه يختفى فى مخبأ عينته أنت له ؟ ... فارشدنى الى ذلك المخبأ وابتعد ... لا تظهر ... الحاكم لا يمكن ان يغفل عنك وانت الوطنى المخلص ورئيس فرقة الفرسان . وهو كما قلت لك لا بد ان يتعقبك ويقبض عليك خشية أن تلحق بفرقتك وتفضح تدبيره عند القائد ... فما الذى يضطرك للظهور والاستهداف للخطر ؟ ... اهو المال الذى جمعته والذى نحن فى

حاجة اليه ؟ ... لا ريب انك اودعته عند اخيك . سأجيئك انا به . فابق هنا ولا تخرج . انى خائفة عليك . الحاكم لن يفكر أبدا فى اقتحام بيتى بعد أن اعتقل والدى ... فدعنى أذهب الى المخبأ ... سأتصل بأخيك تحت جنح الظلام ، واصطحبه معى الى سفح الهضبة الكبيرة حيث تلحق بنا انت . وهكذا نفر جميعا وننجو ... فقل لى أين يختبىء بلوتون ؟ ... تكلم . وثق فى حنكتى وذكائى ، واعتمد بعد الآلهة على ! ...

وتراجعت كمن يتحفز لعمل جرىء هو خليق به ، ووقفت مرفوعة الرأس شامخة ومتأهبة . فبهره صدقها ، وفيض حماستها وغيرتها ونبلها . فاندفع اليها شاردا مفتونا ، وضمها الى صدره كمن يضم كنزا وقال وهو يغمر وجهها بالقبلات :

ـ فى الكهف ... فى كهف المجذومين ! ... هناك خبأت شقيقى ، فى ذلك الكهف الذى كان يطرح فيه مرضى الجذام قبل أن تنشىء الحكومة مستعمرة لهم ... الكهف على بعد ساعة من هنا . ولكن كيف يمكنك انت الذهاب الى هناك ، واجتياز الطريق فى الليل بدون رفيق ؟ ...

فقالت هستيا وهى ترتعد :

ـ اذن فالمخبأ هو كهف المجذومين ؟! ...

وتقلصت عضلات وجهها تقلصا مخيفا ، وتلوث فى تشنج والم كظيم ، كان قوة تعتصرها اعتصارا وتستنزف آخر نقطة من دمها . ولم تشأ ان تنظر الى كرونوس ، فأغمضت عينيها ... أغمضت عينيها كى لا تراه فى هذه اللحظة الرهيبة ولا تنجذب اليه ولا تدع قلبها يتأثر ويتحول ولو بمسكة من الشفقة عليه . وقبل ان يوجس ويتنبه ويستفيق ، غافلته وهو ساهم ، واستصرخت فى عمق نفسها معبودتها الجبارة بالاس ، ثم انحنت على الشاب ، واختطفت منه خنجره ، ودسته فى صدارها ، ثم انطلقت نحو باب الحجرة ورفعت ستاره ، وصاحت فى صوت غائر مخبل متحشرج مخنوق :

ـ تعالوا ... ادخلوا ... لقد اعترف ! .. ان شقيقه الذى يحمل اسرار جيشنا يكمن الآن فى كهف المجذومين ! واندفع الى الحجرة والدها واستاذها واوديون ونفر من رجال الشرطة الذين كانوا قد حاصروا البيت . وما ان ابصرهم كرونوس وشاهد والد هستيا حرا طليقا ، حتى تراجع مصعوقا وجمد . اندلعت عيناه ، وارتجفت شفتاه ، ورمى الفتاة بنظرة من نار ، وظل يحدق اليها منهوم الفم ، مستشيط العين ، ممسوخ القسمات ، اشبه بوحش وقع بغتة فى فخ ضيق المنافذ عالى السدود ، فهو يود ان يعض وينهش ويثأر فلا يستطيع ... ووضحت أمامه المكيدة المحكمة التى دبرتها له المرأة الوحيدة التى أحبها . أدرك لفوره ان قصة الحاكم كانت كلها محض اختلاق . ادرك ان والد الفتاة ورئيس الشرطة كانوا جميعا جواسيس للحاكم والقائد عليه هو وعلى بقية المتآمرين .

فتاه عقله ، وايقن من موت شقيقه وموته هو ايضا بالسهام والحراب بعد ان يجر فى شوارع أثينا ، ويعرض على الجماهير الثائرة ، ويلطخ اسمه واسم أسرته بشر ضروب الفضيحة والعار . فظل لحظة تائها ولم يتكلم . وعندئذ دنت منه هستيا وصاحت بأعلى صوتها وهى تتفطر وتتلوى والدمع ينهمر من عينيها :

ـ أشهد الآلهة يا كرونوس على انى كنت أوثر ان يكون عقابك وعارك على يد غيرى . كنت احبك بل اعبدك يا كرونوس .

كنت استدرجك واتمزق . كنت احاسبك واتقطع . كنت ادينك وقلبى المفصم بالشفقة عليك يقطر دما . ولكنى كنت مجبرة يا كرونوس . كنت مواطنة قبل ان اكون امرأة ، وكنت اغريقية قبل ان اكون انثى وعاشقة . كان يجب ان اضع واجبى فوق حبى ، وان اتجرد من كل رحمة وأحب موتك يا حبيبى لاستطيع ان احب الحياة لوطنى ! ... فقدر موقفى يا كرونوس ولا تكرهنى . اشفق على شفقة استحقها ولا تبغضنى . لقد ارتفعت انا بحبنا الى عالم أسمى وأبقى منا . فانظر انت الى هذا العالم فقط ولا تنظر الى . انظر الى وطنك ولا تحقد على . كن نبيلا كما كنت فى ماضيك ، وكفر عن جريمتك مختارا واقبل عقابك . اقبل العقاب العادل واحتمله فى اقرار متواضع بذنبك ، أحس أنا ان وطنيتك قد بعثت وضميرك قد استفاق ، فأعبدك روحا أكثر ألف مرة مما كنت أعبدك جسدا ، وأعاهدك على ألا أعرف بعدك أى رجل ، وأن أدخل المعبد منذ الساعة ، وأنقطع فيه عن الدنيا ، وأنذر نفسى وحياتى لخدمة الآلهة حتى أموت ! ..

فاختلج كرونوس اختلاجا عنيفا ولم يجبها بكلمة . لم يلق عليها أية نظرة ، بل أشاح بوجهه وأجال بصره فى اوريون الناقم الحاقد ، وفى الفيلسوف الهادىء المتأمل ، واستقر على والد هستيا الجامد الصابر . فاتجه نحوه ، واتأد فترة ، ثم قال فى صوت ثابت جهير :

ـ لا انكر شيئا مما تتهمونني به يا سيدى . أنا مقر بأنى قد فررت من الجيش وسرقت أسراره ، ومقر بأنى خائن لوطنى ومستحق للعقاب . ولقد ندمت كل الندم على جريمتى . ندمت من أعماق قلبى ولم أعد آمل فى أكثر من أن يشفع لى ندمى عند الآلهة فتغفر لى فى العالم الآخر وترحمنى . ولكنى جندى يا سيدى ، جندى خدمت بلادى فى ساحة الحرب مرات ، وقاتلت فى بسالة وجرحت . ففاية ما أطلب الآن هو أن تجنبنى الفضيحة والعار . فاعطنى سلاحى أقضى به على نفسى بنفسى ، وأموت كجندى لا كمجرم . هذا كل ما أطمع فيه يا سيدى . فلا تبخل على بهذه النعمة فى لحظتى الأخيرة وترفق بى ! ...

فاضطرب الكاهن ورمق الفيلسوف بنظرة . أما هستيا التى لمست فعل كلماتها فى نفس كرونوس ، والتى كان عزاؤها الأوحد أن تراه يرتد الى حظيرة الوطن تائبا نادما متطهرا قبل أن تفقده الى الأبد ، فقد راعتها عباراته ، وبهرتها يقظة ضميره ، وأثلج صدرها فرط ندمه وتوبته . فاستضاء وجهها ، وتألقت عيناها ، وانبعثت أمامها صورة الفارس الوطنى البطل الذى كان بالأمس كل حياتها . فارتمت على والدها ، وتشبثت به وصرخت :

ـ ما جدواكم من تعذيب الرجل وتلويثه ؟ ... ما جدواكم من عرضه فى شوارع المدينة أمام الشعب الثائر ، ثم قتله بالسهام أو الحراب كانه قاطع طريق ؟ ... ان أسرار جيشنا فى حوزة شقيقه ، وشقيقه أصبح الآن فى قبضتكم .

أما هو فقد رد الى نفسه اعتبارها بيقظته الخالصة وندمه العميق . فأنا ، أنا الذى مالأته واستدرجته وانتزعت لكم سره ، من حقى عليكم ، أن تدعونى أفصل فى القرار الذى يجب أن تنتهى بموجبه حياته ! ... لا ... لن يموت الرجل كمجرم ... لن يلطخ بالعار بعد أن استهول الجريمة وآمن بالوطن ... خذ سلاحك يا كرونوس ، واسترد ولو بعض كرامتك ، ومت على الأقل كجندى ... خذ ...

وانتزعت خنجره من صدارها ودفعت اليه به . فانحنى على الأرض وهو يتناوله منها . ثم رفع رأسه وحدق اليها . فالفت نفسها فجأة تجاه عينين واسعتين ضاريتين مثبتتين فيها . فاجفلت وتراجعت . ولكن كرونوس لحق بها . وقبل ان تتنبه هى أو يفطن اوريون أو والدها أو أستاذها أو رجال الشرطة ، غافلها الشاب وهى مشدوهة ، وجذبها فى عنف اليه . وفى مثل خطف البرق أو وقع الصاعقة ، أخمد خنجره فى صدرها . ثم انتزعه وحاول أن يضرب به نفسه . فأسرع الجند وارتموا عليه ، ثم جردوه من سلاحه وكباوه ، بينما كان اوريون يطلق صرخة مدوية ، ويتلقى الفتاة بين ذراعيه ، ويرقدها على احدى الأرائك ، والفيلسوف وقد ملكه الذعر ، يهرع اليها ، وينادى الخدم ، ويطلب طبيبا ، ووالدها المسكين ينحنى عليها ويهزها فى تهافت وخبال ، ويصيح :

ـ هستيا ... حبيبتى هستيا ...

ولكن الفتاة التى كان ينزف الدم من صدرها ، زفرت زفرة مخنوقة أعقبها أنين أجش . ثم أرسلت نفسا عميقا سمع له اصطخاب أشبه بهدير موج . ثم اصفر لونها ، وغارت وجنتاها ، ولمعت عيناها الجاحظتان لمعانا ثابتا خاويا مخيفا لا أثر فيه لأى وعى بشرى . ففقد الوالد صوابه ، وصرخ وهو يضرب صدره بقبضته وينفجر بالبكاء :

ـ ماتت ابنتى ! ... ماتت هستيا ! ...

وأخذته أخذة مروعة من الحنق والكمد واللوعة . فتحول الى الجند ، وأشار الى كرونوس وصاح :

ـ لقد عاش خائنا وانتهى نذلا . فعذبوه ... عذبوه هو اليوم بالفضيحة أولا ، ثم عذبوا بها فى غد شقيقه الذى هو الآن فى قبضتكم ... اعرضوهما على الجماهير فى الشوارع ... مرغوهما فى حمأة الذل والتنكيل والعار ثم اقتلوهما بالسهام أو الحراب . فكلاهما أغلظ وأقسى من افتك مجرم قاطع طريق ! ..

فانقض الجند على كرونوس ، وجردوه من مئزره العسكرى وقميصه ، وانتزعوا من صدره شارات فرقته ، وكبلوا قدميه بالأغلال ثم ساقوه . فعاد الوالد وارتمى على جثة ابنته ، وأردف مخبولا وهو يقبلها فى حرقة ويبكى :

ـ احملوها الى فراشها ... اغمروها بالزنابق والورود ... سيصلى عليها الكهنة هنا ... وستدفن هنا ... فى ضريح بيتى ... فى الضريح الذى دفنت فيه امها . والذى لابد ان ترحمنى الآلهة وشيكا وتغيبنى انا أيضا فيه ! ..

وهد ذراعيه المرتعشتين ليعاون فى حملها . ولكن اوريون ، اوريون الذى كان *يتاملها ويختلج ، ويضم الى صدره جسدها البارد والدمع يطفر من عينيه ، تشبث* بها ، واحكم ضمها واعتناقها ، وصاح فى صوت غائر قاطع ، تمشت فيه شبه لوثة من جنون :

لن يجسر واحد منكم على أن يسلبها منى . انها الآن لى ... لى أنا وحدى ! ... لقد أحببتها وعبدتها كما لم أحبب وأعبد آلهتى ! ... فأنا الرجل الشقى ، أنا الرجل الدميم المحقر المنبوذ الذى وهبت كل ما أملكه لوطنى ، وكنت أتعس انسان برغم ثرائى ، ولم أشعر فى حياتى بأية نفحة من حب أو قبس من حنان ، ألتمس منكم ، بل أتوسل اليكم أن تعطونى هستيا ... لا تأخذوها منى ... ان مثلها لا يسجى على أرض فانية كجميع الناس ... يجب ان يصلى عليها فى المعبد لا هنا . انها منذ اليوم عذراء الوطن الخالدة . ولقد ماتت شهيدة . فالمقبرة الخليقة بها هى مقبرة المعبد المقدسة حيث ترقد من حلت عليهن معجزات الآلهة بالاس ، ومن اختلطت عظامهن بعظام خادمات الهيكل البتولات الطاهرات ... هناك مثوى ابنتك يا سيدى الكاهن . فلا تحرم الوطن من تقديسها ، ولا تحرمنى انا منها ، فأنا سأقتدى منذ اللحظة بها . سأفعل ما كانت ستفعله هى من أجل رجل لم يستحقها . سأودع الدنيا فى سبيلها ، وأدخل المعبد ناذرا نفسى لخدمة الآلهة ، وأظل فى المعبد بجوار قبرها ، أحبها وأذكرها وأصلى ، حتى تحبنى هى ، وتناديني ، فأموت وقد استوعبت روحها روحى كما يستوعب النور ظلمة الليل الحالكة ! ... فلا تكن أنانيا يا سيدى ، ومر بحمل ابنتك الى المعبد ...

وما كاد اوريون يتم خطابه ، حتى اهتزت جوانب البيت ، وتصاعدت من الخارج جلبة كبيرة . ثم شوهدت الجماهير التى علمت من رجال الشرطة بخيانة كرونوس واستشهاد هستيا ، تتقدم نحو البيت كالسيل الجارف ، وتصرخ طالبة تمجيد الشهيدة وحملها الى المعبد . فهتف اوريون والفرح يخنقه :

ـ هذا هو صوت الشعب !

فلم يسع الكاهن الا أن يسلم . فتقدم اوريون نفسه وحمل الجثة بمعاونة أستاذه ، وخرج موكب الشهيدة يتبعه والدها الشيخ ، وخدم الدار ، وطوائف الشعب التى كانت تهتف للعذراء المجيدة ، وتستنزل لعنة الآلهة على كرونوس ، وتفاقل الجند وتقتحم نطاقهم ، كى تبصق فى وجه المجرم ، وتخدشه بأظافرها أو تضربه بقبضاتها أو تركله بأقدامها ، وهو يعرض فى الشارع ، عارى الصدر ، مكبل اليدين والقدمين ، يمسح بذراعه قطرات الدم التى تسيل من وجهه ، ويشهد عاره بعينيه قبل أن يضرب بالحراب ويموت

ولما دخل الموكب المعبد ، أقيم جثمان هستيا على منصة عالية عند قاعدة تمثال الآلهة بالاس ، وغطته خادمات الهيكل بالزنابق والورود وسعف النخل وأكاليل الغار التى كان قد جاء بها الشعب . ثم تقدم الكاهن الأعظم ، وقدم عليه والد الشهيدة ، وشرع يتلو صلاة الجنائز ، ومن حوله الشعب ينتحب وصفار الكهنة يحبسون دموعهم ويرتلون .

ولما صمت الكل فترة ، وانصتوا لسماع كلمة التأبين ، نهض الفيلسوف الذى كان قد تداعى من فرط الألم وجلس على احدى درجات المعبد ، وتمالك نفسه ، ووقف فى الجمع المحتشد ثم رفع ذراعه وقال :

ـ **اخوانى وأبنائى فى الوطن الجريح** ... منذ أن تحضر الانسان عز عليه أن يفنى جهاده . فصبت نفسه الى الخلود . أحس أن حياته الشخصية فانية . فآمن بالدين كى يخلد ، وآمن بالعائلة كى يخلد . ثم آمن بالوطن لأن الوطن هو الرمز الشامل المقدس لخلوده ، وخلود أصلابه ، وخلود جميع من تحملهم الأرض التى منها يتنفس وبوساطتها يعيش . ولكن الانسان قوى وضعيف ، باذل وأنانى . وهو دائم التأرجح بين مصلحته الخاصة ، وبين ما عليه من واجب نحو الوطن الذى يغدق عليه خيره والذى يكلؤه ويحميه . فبقدر ما يقهر الانسان أنانيته ، وبقدر ما يتفوق على ضعفه وغرائزه ، وبقدر ما يتألم ويبذل ويضحى ، يرتفع فى سلم التحضر ، ويتسنم ذروة الخلود الأسمى فى الحياة والموت من أجل وطنه وخير العالم . وهذا ما فعلته الشهيدة هستيا . لقد أحبت والدها وخطيبها بكل قوى قلبها وايمانها وشبابها . فلما صدمتها الخيانة وأيقنت من خطرها الداهم على بلادها ، أنكرت بنوتها ، ثم قهرت حبها ، **ثم غالبت النعيم الباطل الذى كان فى متناول يدها ولم تتردد فى تسليم حبيبها الخائن الذى حاولت مع ذلك أن تهديه فقتلها .** فهذه الفتاة وضعت كرامتها فوق حبها ، ووطنها فوق نفسها ، وخلودها فى الوطن الباقى فوق نعيمها فى دنيا الحب البشرى الفانية . فاتخذوا منها مثلا حيا لكم . قدسوها ما حييتم . واعلموا أن النصر لو حالف فى معركة الاستقلال قائدكم وزعيمكم ، فسيرجع الكثير من الفضل فيه الى الشهيدة الباسلة التى ماتت من أجلكم !

فانحنت الجماهير فى خشوع ورددت :

ـ المجد للوطن ! ... المجد لهستيا ! ...

فتقدمت خادمات المعبد ، ورفعن الجثمان وسط عاصفة من الهتاف ، وحملنه الى المقبرة المقدسة القائمة تحت حرم الهيكل ، بينما كانت الجماهير تندفع نحوه ، وتتألب عليه ، كى تلمسه وتتبرك به قبل أن يغيب عن أعينها ويستقر فى مثواه الأخير .

وانتهت الصلاة وانصرفت الجماهير شيئا فشيئا . ولكنها لم تغفل عن القيام بالواجب المفروض عليها نحو أسرة الشهيدة . فانطلقت فى الشوارع تجمع زنابق وورود وأكاليل غار أخرى ، لتحملها الى الكاهن الأول تعزية له وتمجيدا للبيت العتيد الذى ولدت فيه هستيا .

وساد الصمت فى المعبد . فارتعش اوريون الدميم وظل ينظر فى سكون الى حجرة المقبرة . نظر الى قلبه ، الى روحه ، الى أمله ، الى حلمه العظيم الذى استحال فى مثل لمح الطرف حقيقة واقعة . فانخلع بدنه وأومضت عيناه ... أحس فرحا عاتيا غمره وأذهله وأنساه حياته البائسة كلها . فلم يتمهل وتقدم . تقدم لفوره . تقدم وهو تائه ونشوان ، وعانق والد حبيبته ، ثم عانق أستاذه ، ثم صارح الكاهن الأعظم بما اعتزم عليه . ولما أجابه الكاهن الى سؤاله ومنحه بركته ورضاه ، خلع اوريون نعليه ، وتمتم صلاة قصيرة . ثم مشى كالمؤمن المجتبى، ودخل حرم الهيكل الذى تنهض تحته المقبرة التى دفنت فيها هستيا . وهناك حيث آلى على نفسه أن يعيش ويموت ، **ارتمى على سطح المقبرة المقدسة ، وبسط ذراعيه المهوفتين كأنه يحتضنها ، ثم قبل أرضها الطاهرة وبكى .**

وعندئذ فقط أحس أن موته عن الدنيا هو الحياة ، وانه الآن مكتمل السعادة كالأرباب ، وأن هستيا قد أصبحت حقا له وحده ، وان من المحال أن ينازعه فى حبها بعد اليوم انسان .

* * *

ولم يفلح الفرس فى الوقوف على أسرار جيش الاغريق ، ولم تنشب أية ثورة داخلية بعد مصرع كرونوس وشقيقه وعصبة المتآمرين . فاطمأن القائد الزعيم ملتيادس ، وتأهب لمعركة الاستقلال الفاصلة فى سهل ماراتون . فطاف بجنوده قبل المعركة ، وأثار حميتهم بذكر ما أقدمت عليه هستيا عذراء الوطن الشهيدة الخالدة ، ثم اطبق بجناحيه القويين على جيش الفرس . **فمزق صفوفهم ، وما زال بهم يتعقبهم ويطاردهم حتى حطمهم تماما وألقى بهم فى البحر .**

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر

الدار المصرية للتأليف والترجمة

تقدم خلال شهر

المكتبة الثقافية ١٣٤

صدرت في ١/٦/١٩٦٥

ريشارد فاجنر

تأليف
د. فؤاد زكريا

تطلب من الباعة ومن دار القلم ١٩ ش ٢٦ يوليو بالقاهرة ت ٣٢٥٥٠٥ ٧٧٧٤١

العدد الرابع من

مجلة الفكر المعاصر

صدرت في ٣/٦/١٩٦٥ — ٥

فكر مفتوح لكل التجارب . تلاحق اتجاهات الفكر في العالم

ووضع القارئ في تيار عصره

رئيس التحرير : د. زكي نجيب محمود

تطلب من الباعة ومن مكتبة دار التأليف والترجمة ٥ ميدان عرابي ت ٤٦٣٨٣

روائع المسرح العالمي ٦٢

كريتال الأشباح

صدرت في ٤/٦/١٩٦٥ — ٥

تأليف : موريس دوكوبرا ؛ ترجمة : احمد رضا ؛ مراجعة وتقديم : د. محمد مندور

ملتزم التوزيع في الداخل والخارج
مكتبة الخانجي ١١ ش عبد العزيز بالقاهرة ت ٩١٥١٤٨ - ٩٠٦١٤٨

العدد ٦
من المجلد الثالث
من سلسلة

تراث الإنسانية

صدرت في ٥/٦/١٩٦٥ — ٥

سلسلة تتناول بالتعريف والبحث والتحليل
روائع الكتب التي أثرت في الحضارة الإنسانية

تطلب من الباعة ومن مكتبة دار التأليف والترجمة ٥ ميدان عرابي بالقاهرة ت ٤٦٣٨٣